DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

أثر الفكر التربوي الإسلامي على مفهوم أصل الوجود الإنساني

ناصر بن أحمد بن علي السهلي
البريد الالكتروني: sn2009ns@hotmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث أثر الفكر التربوي الإسلامي على مفهوم أصل الوجود الإنساني، من خلال استقراء الرؤية القرآنية والسنة النبوية في بيان أصل الإنسان ومكانته وغايته من الخلق، وقد ركّز البحث على تحليل الأسس العقدية والفكرية التي يقوم عليها الفكر التربوي الإسلامي، موضحًا أنه فكر متكامل ينطلق من العقيدة التوحيدية التي تجعل الإنسان مخلوقًا مكرمًا مستخلفًا في الأرض، لا وليد مصادفة أو تطور مادي، بل نتاج إرادة إلهية مقصودة.
يبرز البحث أن الفكر التربوي الإسلامي يتميّز باستقلاله عن الفلسفات الوضعية التي حصرت الإنسان في البعد المادي أو النفعي، إذ يربط أصل وجود الإنسان بالغاية من خلقه، وهي عبادة الله وعمارة الأرض وفق منهجه.

كما يوضّح أن التصور الإسلامي للوجود الإنساني يسهم في بناء فلسفة تربوية متوازنة تُعنى بتزكية النفس وتنمية العقل والجسد في آن واحد، بحيث يكون التعليم وسيلةً لتحقيق العبودية لله وإقامة الحياة على القيم الإيمانية والأخلاقية، وذلك في مقدمة ومبحثين: المبحث الأول تناول المبحث الأول: تحقيق العبودية لله -عز وجل- والمبحث الثاني: تكريم الوجود الإنساني، ثم خاتمة خلص البحث فيها إلى أن الفكر التربوي الإسلامي يؤكد أن الإنسان مخلوق بعناية إلهية لتحقيق العبودية لله، ويُكرّم قبل وبعد وجوده على الأرض، وتسخير الكون له، واستخلافه في الأرض. هذا يمنح التربية الإسلامية بعدًا روحيًا وأخلاقيًا متكاملاً. وأوصى البحث بتعزيز الفكر التربوي الإسلامي في التعليم وربطه بمقاصد الوجود الإنساني، وتشجيع الدراسات المقارنة لإبراز تميّز المنهج الإسلامي، مع دعم المؤسسات التربوية والثقافية لتكوين إنسان جامع بين العلم والإيمان والعمل.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي الإسلامي، أصل الوجود الإنساني، الغاية من الخلق، العقيدة، التربية الإيمانية، الاستخلاف.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

The Impact of Islamic Educational Thought on the Concept of the Origin of Human Existence

Nasser bin Ahmed bin Ali Al-Sahli
Email: sn2009ns@hotmail.com

ABSTRACT

This study examines the impact of Islamic educational thought on the concept of the origin of human existence, through a review of the Qur'anic and Prophetic perspectives on the origin, status, and purpose of human creation. The research focuses on analyzing the doctrinal and intellectual foundations underpinning Islamic educational thought, highlighting that it is a comprehensive system rooted in the monotheistic creed, which regards humans as honored creatures and vicegerents on Earth, not products of chance or material evolution, but outcomes of deliberate divine will.

The study emphasizes that Islamic educational thought is independent of secular philosophies that confine humans to material or utilitarian dimensions, as it connects the origin of human existence to the purpose of creation: worshiping God and cultivating the Earth according to His guidance. It further demonstrates that the Islamic conception of human existence contributes to a balanced educational philosophy concerned with purifying the soul, and developing the mind and body simultaneously, making education a means to achieve servitude to God and to establish life upon faith-based and ethical values.

Keywords: Islamic educational thought, origin of human existence, purpose of creation, monotheism, faith-based education, stewardship.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

مقدمة

فإن الفكرَ الإسلامي كيان مستقل في جوهره، قائم بذاته، متفرّدٌ في منابعه وموارده، لم يتغذّ من فلسفةٍ وضعيةٍ ولا من منطقٍ أجنبي عن روحه، ولم يستند إلى أصولٍ دخيلةٍ عليه، إلا ما سلم من التحريف من بقايا الكتب السماوية السابقة؛ إذ تلك أصول إلهية في أصلها، وإن نالتها يد البشر بالتصحيف والتبديل.

ومن هذا الاستقلال نشأ عمق المفهوم التربوي في الإسلام، الذي ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة الله في الأرض، مخلوقٌ بقدرٍ معلومٍ لحكمةٍ مقصودة؛ فالإنسان في الفكر التربوي الإسلامي ليس وليدَ صدفة كونية، ولا ثمرةَ تطورٍ أعمى، ولكنه كائنٌ شاء الله وجوده، فخلقه من طينٍ، ونفخ فيه من روحه، وأودع في فطرته سر العقل والإرادة والتمييز.

لقد جاء القرآن الكريم ليعلن أن أصل الوجود الإنساني حادث بعد عدم، مخلوقٌ بأمر الله (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ)، فكان هذا الخلقُ بدايةَ التكليف ومسؤوليةَ العمارة في الأرض، ولم يكن خلقُ الإنسان عبثًا، بل جاء لغرض سام وغاية عالية، هي عبادة الله وابتغاء مرضاته، والسعي في عمران الأرض وفق منهجه القويم، ومن هنا فإن الفكر التربوي الإسلامي ينظر إلى الإنسان كروحٍ تُزكى لتسمو، وعقل يُنمّى ليهتدي، وقلب يُهذّب ليعرف خالقه ومولاه.

فمن تأمل أصول هذا الفكر وجد أن التربية في الإسلام نابعةٌ من صميم الوحي، تُعنى بتكوين الإنسان الكامل في إدراكه وسلوكه وضميره، إنها تربية تجعل من أصل الوجود الإنساني قاعدةً لتفسير معنى الحياة، وتربط بين العلم والإيمان، بين الفكر والعمل، بين الدنيا والآخرة، فلا ترى في المعرفة ترفًا للعقل، بل عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه.

وهكذا يتبيَّن أن أصل الإنسان في الفكر الإسلامي أصل مخلوق بعناية ربانية وتقدير محكمٍ، وأن وجوده لم يكن عبثًا ولا اتفاقًا، بل كان رسالة في هذا الكون، تقوم على الوعي بعلّة الوجود وغاية الخلق، ليكون الإنسان عبدا لله في كل ما يأتي ويذر، معمرا للأرض على هدي من خالقه، ساعيا نحو الكمال الذي أُريد له منذ لحظة التكوين الأولى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:30)، ولهذا الوجود في الفكر التربوي الإسلامي انعكاسات يمكن تناولها على المبحثين التاليين:

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

المبحث الأول: تحقيق العبودية لله -عز وجل-

الإنسان في أصل وجوده في الفكر التربوي الإسلامي كائن مخلوق مثل غيره من المخلوقات، لكنه يتمتع بمكانة خاصة تجعله متميّزًا عن سائر الكائنات. فهو لا يمكنه بطبيعة الحال إيجاد نفسه أو تحديد غايته من دون توجيه إلهي، بل إن وجوده مرتبط بحكمة إلهية وغاية سامية، وهي العبادة والاستخلاف في الأرض، قال -تعالى-: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: 67).

إذ لا يعقل أن الإنسان خلَق نفسه بنفسه، وإذا بطل هذا في الإنسان فهل يصح فيما دونه من الحيوانات، وإذا فهل يعقل أن يتم الخلق والإيجاد بدون خالق أو موجد؟! (أبو بكر 1417هـ، ص. 25).

وقال -تعالى-: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: 9).

وقوله -تعالى-: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ (الطور: 35).

فهذه الآيات دالة دلالة قطعيَّة لا شك فيها على انعكاس أصل الوجود الإنساني في الفكر التربوي الإسلامي على تحقيق العبودية لله -عز وجل-، وذلك أن الأمر لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات:

أولًا: أن يكونوا خُلِقوا من غير شيء، أي بدون خالق أصلا.

ثانيًا: أن يكونوا خَلَقوا أنفسهم.

ثالثًا: أن يكون خلقهم خالق غير أنفسهم.

وإبطال القسمين الأوَّلين قطعي لا شك فيه، فيتعيَّن أن الثالث حق لا شك فيه، وأنه هو الله -جل وعلا- خالقهم، وأنه مستحق أن يعبدوه (الشنقيطي 1995، ج. 3، ص. 495).

قال ابن تيمية (1411): "هذا تقسيم حاصر، يقول: أُخلقوا من غير خالق خلَقَهُم، فهذا ممتنع في بداهة العقول، أم هم خَلَقوا أنفسهم؟ فهذا أشد امتناعًا، فعُلم أن لهم خالقًا خلقهم، وهو -سبحانه وتعالى- ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليبيّن أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن أحد إنكارها، فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدَّعي وجود حادث بدون محدِث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه" (ص. 253).

يقول خليل (1982): ونحن دائمًا ننسى أننا لا نعدو أن نكون جزءًا من خلق الله، وأن إنسانيَّتنا جاءت منَّة وتفضيلًا من الله -سبحانه وتعالى-، وأن معارفنا وخبراتنا ومقدرتنا على العمل لا تقاس -لا بالنوع ولا بالكم- بعلم الله الشامل المحيط، وقدرته الخارقة التي لن يعجزها شيء، ومع ذلك؛ فقد منحتنا الرؤية القرآنية أفضل مركز في الكون، وأعطتنا مكان السيادة على العالمين (ص. 143).

فالمخلوق مُفتقِر في جميع أحواله إلى خالقه -جل في علاه- محققًا عبوديته لمولاه، وهذا يعم جميع الناس، «وهو فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه، وهذا الفقر لا يقتضي مدحًا ولا ذمًّا ولا ثوابًا ولا عقابًا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا ومصنوعًا...» «... وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في معرفة العبد بربه ومعرفته بنفسه، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام» (ابن القيم، د.ت، ص. 23).

قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: 54).

وبهذا؛ يتضح أن تحقيق العبودية لله -عز وجل-، والخضوع التام له، والتذلُّل لجلاله وعظمته؛ هي غاية الوجود الإنساني. هذه الغاية تُعدُّ أشرف العلاقات وأجلها وأعظمها، لكونها متعلقة بالله -عز وجل-. وهي نتيجة لأثر الفكر التربوي الإسلامي على الوجود الإنساني، الذي يوجّه الإنسان نحو العبادة والاستخلاف في الأرض، بما يحقّق السمو الروحي والتكامل الأخلاقي

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

المبحث الثاني: تكريم الوجود الإنساني

ثانيًا: تكريم الوجود الإنساني:

إن التكريم الإلهي للوجود الإنساني هو إيصال الإنسان إلى مرتبة شريفة عزيزة، يسمو فيها بجهده وجهاده نحو الكمال، تحقيقًا لإنعام الله -تعالى- وإحسانه غير المحدود، بعيدًا عن الذل والإهانة والتحقير، وعملًا وفْق سُنَّته التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر (سويلم، 2007، ص. 24).

ويظهر تكريم الله -سبحانه- للإنسان بتفضيله على كثيرٍ من المخلوقات بقوله: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٠)، "قيل في تكريم بني آدم أنه كرَّمهم بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد. وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم" (الزمخشري، 1407، ج. ٢، ص. ٦٨٠).

والإنسان من خلال هذه الآية الكريمة يتجلَّى بمفهوم ذي بُعدين: بُعد عقلي (العقل، والتمييز، والنطق)، وبُعد حضاري (الخط، وتدبير المعاش، والأكل باليد، وركوب البر والبحر، والتمتع بالطيبات). (الجابري، ٢٠٠٦، ص. ٢١).

والإنسان في الإسلام أكرم مخلوقات الله على الأرض، خلقه الله من طين، ومع ذلك؛ لا قيمة تعلو فوق قيمته، فهو كائن من كائنات الملأ الأعلى؛ لأن إنسانيته لم تتكوَّن إلا بَعد أن نفخ الله فيه من روحه (الخطيب وآخرون، ١٤٤٠، ص. ٥٠).

ومن مظاهر هذا التكريم الإضافة في قوله -تعالى-: ﴿مِن رُّوحِي﴾، فهي دليل على التشريف والتكريم (الشوكاني، 1418، ج. 3، ص. 179).

يقول ابن كثير (١٤١٧، ج. 3) -رحمه الله تعالى- ويخبر -تعالى- عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، فيقول -تعالى-: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ (التين: 4)، أي يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، غيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه. وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية ﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ﴾ (الإسراء: 70)، أي: على الدواب من الأنعام والخيل والبغال، والبحر أيضًا على السفن الكبار والصغار ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (الجاثية: 16)، أي من زروع وثمار ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء: 70)، أي: من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة (ص. ٥٥).

ويمكن تقسيم مظاهر التكريم الإلهي للوجود الإنساني إلى قسمين: (عباس وخطاطبة، 2016، ص. 106).

- مظاهر التكريم الإلهي للوجود الإنساني قَبل نزوله للأرض.
- مظاهر التكريم الإلهي للوجود الإنساني بَعد نزوله للأرض.

القسم الأول: مظاهر التكريم الإلهي للوجود الإنساني قَبل نزوله للأرض:

أولًا: إعلان نبأ خلق الإنسان من الخالق -جل في علاه- مباشرة:

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ (البقرة:30).

يقول السعدي: «هذا شروع في ذكر فضل آدم -عليه السلام- أبي البشر، أن الله -تعالى- حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض» (السعدي، 2000، ج. 1، ص. 70).

(ويقول الرازي: «اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقه آدم -عليه السلام- وعلى كيفية تعظيم الله -تعالى- إياه، فيكون ذلك إنعامًا عامًّا على جميع بني آدم» (الرازي، 1999، ج. 3، ص. 383).

ثانيًا: خلق الله -عزّ وجلّ- له بيده ونفخ فيه من روحه:

قال -تعالى- في محكم تنزيله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ (ص: ٧٥).

يقول فخر الدين الرازي ((1999، ج. 21) -رحمه الله تعالى-: هذا التكريم معناه أنه -تعالى- خلق آدم بيده، وخلق غيره بطريق كن فيكون، ومن كان مخلوقًا بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل، وكان أكرم وأكمل، ولما جعلنا من أولاده وجب كون بني آدم أكرم وأكمل (ص. ١٦).

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩). فالله -سبحانه وتعالى- خلق الإنسان على طبيعة منفردة تخصه وحده، فهو انفرد وحده دون المخلوقات الأخرى بأنَّ الله -سبحانه- أودع فيه من روحه نفخة، وتلك النفخة من روح الله هي التي جعلت الإنسان خلقًا منفردًا ومكرَّمًا عند الله على كثيرٍ من خلقه -سبحانه وتعالى- (ابن جبرين، ١٤٣٣، ص. ١٨٥).

ثالثًا: أمر الملائكة بالسجود لآدم -عليه السلام-:

قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 31).

يقول ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وهذه كرامة عظيمة من الله -تعالى- لآدم، امتنَّ بها على ذريته، حيث أخبر أنه -تعالى- أمر الملائكة بالسجود لآدم (ابن كثير، 1994، ج. 1، ص. 97).

واختلف العلماء في كيفية سجود الملائكة لآدم -عليه السلام- على أربعة (الدوسري، 2000، ص. 14).

1. أنه مجرَّد الخضوع، دون إيماء ولا انحناء، والمقصود إقرارهم لآدم بالفضل والقيام بمصالحه.
2 الإيماء والخضوع.
3. الانحناء المساوي للركوع، وذلك بالتكفِّي والتعظيم كسلام الأعاجم.
4. أنه السجود المتعارف، وهو وضع الجبهة على الأرض، وهو الصواب، ولا يعكر عليه أن السجود في الشريعة محرم؛ لأن ذلك خاص بآدم في العالم العلوي، وليس ضمْن التكاليف المنوطة بأهل الأرض، فلا يقاس عليه، وقد اتفق العلماء على أن سجود الملائكة لآدم سجود تحية لا عبادة، تكريمًا لآدم -عليه السلام-، وإظهارًا لفضله، ولهذا اعترض إبليس على السجود.

(ولم يكن سجودًا لجسم آدم المشكَّل من طين، وإنما كان سجودًا للإبداع الإلهي في صُنع آدم -عليه السلام- والنفخة الإلهية في جسد آدم -عليه السلام-) (عاشور، 1998).

رابعًا: السكنى لسيدنا آدم وزجه في الجنة:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: 35)، «وهذه تكرمة أكرم الله بها آدم -عليه السلام-، بَعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاء الملائكة، والأمر بقوله: اسكن مستعمل في الامتنان بالتمكين والتخويل، وليس أمرًا له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة، إذ لا قدرة له على ذلك، فلا يكلَّف به (ابن عاشور، 1984، ج. 1، ص. 428).

ويقول ابن كثير (1999، ج. 1): (يقول الله -تعالى- إخبارًا عمَّا كرَّم به آدم بَعد أن أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا، إنه أباحه الجنة يسكن فيها حيث يشاء، ويأكل منها ما شاء رغدًا، أي هنيئًا واسعًا طيبًا) (ص. 101).

ثانيًا: مظاهر التكريم الإلهي للوجود الإنساني بَعد نزوله للأرض:

1- تسخير كلِّ ما في السماء والأرض لهذا الوجود الإنساني:

فالتسخير هو تمكين الله للإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات عملية نافعة له في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يقدِّمه لله -تعالى- (الكيلاني، 1988، ص. 128).

فكل ما في الكون من سماء وأرض وما بينهما من كائنات وأجناس مسخَّر للإنسان، لا يستطيع أن يعصي أو يتوقف عن خدمة الإنسان مؤمنًا أم كافرًا حتى قيام الساعة، بل إن جسد الإنسان بكل جوارحه مسخَّر له بأمر الله -تعالى- إلى يوم القيامة، فاليد تبطش وهي تلعن صاحبها، ولكنها لا تستطيع أن تعصي له أمراً؛ لأن الله جعلها مسخَّرة له تفعل ما يريد، وكذلك سائر الجوارح، حتى إذا جاء يوم القيامة وساعة الحساب زال عنها التسخير، فتشهد على صاحبها بكلِّ ما عملت (عاشور، 1988، ص. 122، 123).

قال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٣).

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- والأفلاك سُخِّرَت منقادة دائرة بما فيه مصالحه، والشمس والقمر والنجوم مسخَّرات جاريات بحساب أزمنته وأوقاته، والعالم الجوي مُسخَّر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره، وما أودع فيه، وكذلك في العالم السفلي من أرضه وجباله وبحاره وأنهاره وأشجاره وثماره ونباته وحيوانه وكل ما فيه مُسخَّر له مخلوق لمصالحه (ابن القيم، د.ت، ص. ٣٠٥).

فالتسخير مبدأ من مبادئ الخلق الأساسية، فالله خلَق لكي يسخِّر الخلق لعيش الإنسان، وهو وسيلة تمَّ بموجبه تحقيق هدفين:

الأول: هدف عملي، وهو تمكين الإنسان من عمارة الأرض والاستخلاف.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

الثاني: هدف عقدي معرفي، وهو معرفة الله وإدراك وحدانيَّته من خلال إدراكه لوحدة الخلق (الطائي، 1439، ص. 210-207).

2- جعل الله -عز وجل- الإنسان خليفة في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 35).

وخلافة الإنسان في الأرض هي فكرة تفرَّد بها الإسلام، فلم تدْعُ إليها عقيدة سواه، ومبدأ خلافة الإنسان يكشف عن إنسانية الإسلام الشاملة، وعن نظرته المحيطة للكون، ورفْع مقام الإنسان إلى أعلى عِلِّيين، والمناداة به ليكون سيدًا لهذا الكون، حيث إن هذه الخلافة تنطلق أساسًا من قاعدة راسخة في القرآن الكريم، وهي الكرامة الإنسانية (الجراد، 2009، ص. 35).

وقد بيَّن العلماء والمفسّرون معنى الخليفة على ثلاثة أقوال (المصري، 1992، ص. 87، 88).

1- خليفة عن الله -تعالى-.

2- خليفة عن جنس سابق كالجن مثلًا.

3- خليفة عن الإنسان، نبي عن نبي، أو إنسان عن إنسان.

إن وظيفة الخلافة التي جُعلت غاية للوجود الإنساني تتضمَّن مباشرة الإنسان المكوَّن بالروح والجسم، اعتبارًا به واستثمارًا لمنافعه وخيراته، كل ذلك تكميلًا للذات في بُعدها الفردي والجماعي، وترقية لها في وجهتها إلى الله -تعالى- عبْر منهاج العبادة، ائتمارًا بما أمر وانتهاءً عما نهى (النجار، 2005، ص. 63).

وقد تعدَّدت مظاهر التكريم الإلهي لهذا الوجود الإنساني، وما سبق ذكره يُعدُّ على سبيل المثال لا الحصر. فقد حدَّد الفكر الإسلامي بمصادره المكانة الخاصة لهذا الوجود، وأعلى منزلته، وجعله مكانًا للتشريف ومركزًا للكون. وقد سُخِّر له كل ما في الكون ليحقِّق عمارة الأرض واستخلاف الله له فيها، لتحقيق العبودية لله -جل في علاه-.

الخاتمة

يتبيّن من خلال هذا البحث أنَّ الفكر التربوي الإسلامي يمتاز برؤية متكاملة للإنسان والوجود، تنطلق من الوحي الإلهي لا من الفلسفات البشرية. فالإنسان في هذا الفكر ليس كائنًا ماديًّا عارضًا في الكون، بل هو مخلوق بقدرٍ إلهيٍّ لحكمةٍ عليا، جُبل على العقل والإرادة والتكليف، وجُعل خليفةً لله في الأرض لتحقيق العبودية وعمارتها وفق منهجه سبحانه.

وقد تبيّن أن أصل الوجود الإنساني في الفكر التربوي الإسلامي يمثل قاعدة تأسيسية تُبنى عليها الغاية التربوية، إذ ترتبط التربية في الإسلام بأصل الخلق، فتجعل من معرفة الله والقيام بعبادته محورًا لتزكية النفس وتنمية الفكر وبناء الأخلاق. كما أن تكريم الإنسان في المنهج الإلهي يظهر في جعله مخلوقًا عاقلًا مختارًا، مُسخَّرًا له الكونُ كله ليكون مجالًا لممارسته دوره الاستخلافيّ القائم على العلم والعمل الصالح.

ومن ثمّ فإن الفكر التربوي الإسلامي يربط بين أصل الإنسان ومصيره، ويجعل التربية وسيلةً لتحقيق غاية وجوده، وهي عبادة الله وإعمار الأرض بالحق والعدل والخير. وهذا ما يميّزه عن الفكر المادي أو الفلسفي الذي يفصل التربية عن الغاية الوجودية ويجعلها أداة نفعية محضة.

النتائج

1. الفكر التربوي الإسلامي قائم على تصور عقديٍّ شامل للوجود الإنساني مستمد من الوحي لا من التجارب البشرية المحدودة.
2. أصل الإنسان في هذا الفكر مخلوقٌ بعناية ربانية، لا وليد مصادفة أو تطور، مما يمنح العملية التربوية بُعدًا روحيًّا وخلقيًّا.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

3. تحقيق العبودية لله هو الغاية الأولى للوجود الإنساني، ومنها تنبثق أهداف التربية ومناهجها.
4. تكريم الإنسان في الإسلام سابقٌ للوجود الأرضي وممتدٌّ بعده، ويتجلّى في النفخة الإلهية، وفي تسخير الكون لخدمته، وفي تكليفه بالاستخلاف.
5. العلاقة بين التربية والوجود في الفكر الإسلامي علاقة تفاعل متبادل؛ فكلما ازداد وعي الإنسان بأصل خلقه، ازداد التزامه برسالته في الأرض.

التوصيات

1. ضرورة تعزيز تدريس الفكر التربوي الإسلامي في المؤسسات التعليمية بوصفه إطارًا مرجعيًّا للتربية الحديثة.
2. العناية بربط المناهج الدراسية بمقاصد الوجود الإنساني كما حددها القرآن الكريم، لتكوين إنسانٍ يدرك غايته ويعي مسؤوليته.
3. تشجيع الدراسات المقارنة بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الغربي لإبراز تميّز المنهج الإسلامي في بناء الإنسان.
4. توجيه البحوث التربوية نحو إبراز أثر العقيدة في تشكيل الوعي التربوي والسلوك الاجتماعي.
5. دعم المؤسسات الثقافية والتربوية لتبنّي رؤية إسلامية متكاملة للإنسان بوصفه خليفةً لله في الأرض، يجمع بين العلم والإيمان والعمل.

المصادر

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين (1414). الروح. دار ابن كثير.
2. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين. (د.ت). الفوائد. دار عالم الفوائد.
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1411). درء تعارض العقل والنقل (ط.2) (محمد رشاد سالم، محقِّق). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
4. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (2005). مجموع الفتاوى (عبد الرحمن بن قاسم، محقِّق)، ج. 9، ص. 294). الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف.
5. ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن. (1433). الإنسان في القرآن الكريم .الرياض، المملكة العربية السعودية: دار ابن جبرين.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي. (1984). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي. (1999). تفسير القرآن العظيم (ط.2) (سامي بن محمد سلامة، محقِّق). دار طيبة للنشر والتوزيع.
8. أبو بكر، جابر بن موسى الجزائري. (1417). عقيدة المؤمن (ط.3). مكتبة العلوم والحكم.
9. الجابري، محمد عابد. (2006). الديمقراطية وحقوق الإنسان، بيروت، كتاب في جريدة، العدد 29التسلسل العام عدد رقم 95.
10. الجراد، محمد عابد. (2009). كرامة الإنسان في القرآن الكريم. عالم الكتب الحديث.
11. الخطيب، عبد الكريم. (١٩٨٣). قضية الألوهية بين الفلسفة والدين: الله ذاتًا وموضوعًا (ط.3). دار الفكر العربي.
12. خليل، عماد الدين. (1982). التفسير الإسلامي للتاريخ (ط.4). دار العلم للملايين.
13. الدوسري، إبراهيم سعيد. (2000). معاني الركوع والسجود في القرآن الكريم. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، 12(20)، 86-3.
14. الرازي، محمد بن عمر. (1999). مفاتيح الغيب (ط.3). دار إحياء التراث.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.126.2025.1554
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (126) November 2025
العدد (126) نوفمبر 2025

15. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ط.3). دار الكتاب العربي.
16. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مترجم). مؤسسة الرسالة.
17. سويلم، عمر كرامة. (2007). أثر التكريم الإلهي للإنسان على حقوق الرجل والمرأة في الإسلام. مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 10(20)، 267-295.
18. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني.(1995). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)ط. 1). بيروت: دار الفكر.
19. الشوكاني، محمد بن علي. (1418). فتح القدير (ط.2). دار الوفاء.
20. الطائي، محمد باسل. (1439). أوهام الإلحاد العلمي (ط.2). مركز دلائل.
21. عاشور، السعيد. (1998). الإنسان في القرآن الكريم. دار غريب.
22. عباس، رامي سامي ضيف الله، وخطاطبة، عدنان مصطفى. (2016). مظاهر التكريم الإلهي للنفس الإنسانية. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، 2(40)، 99-124.
23. الكيلاني، ماجد عرسان. (2009). فلسفة التربية الإسلامية. دار المنارة.
24. المصري، رفيق يونس. (1992). الخلافة والاستخلاف. مجلة بحوث الاقتصاد الإسلامي، 2(1).
25. النجار، عبد المجيد عمر. (1995). الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية. مجلة المسلم المعاصر، 20(77). 15-40.